على هامش بحوث المجلس الأعلى

رسالة التعليم الالزامى

للأستاذ محمد كامل حته

لعل من أهم عوامل التذمر والاضطراب فى التعليم الالزامى ما يكتنف فكرته وأهدافه من البلبلة والغموض . ونحن نتقدم بهذه الكلمة فى بيان رسالة هذا التعليم إلى المجلس الأعلى بمناسبة تناوله إياه بالبحث فى اجتماع اليوم . (حته)

لم يكن عبثاً — وقد خرجت الأمة المصرية فى أعقاب الحركة الوطنية ظافرة بالحرية والدستور — أن ينص هذا الدستور على أن يكون التعليم الأولى إلزامياً بالمجان لجميع الناشئة من بنات وبنين ؛ لأن هذا النص على إلزامية التعليم ، وعلى نشره بين جميع طبقات الشعب بالمجان ، هو أول اعتراف بحق هذا الشعب فى أن يحيا حياة جديدة فيها كل ما يبثه التعليم فى النفوس من معانى الحرية والكرامة والرقى ، وفيها الضمان الوحيد على أهلية هذا الشعب لما أحرزه من النتائج الوطنية ، وتثبيت دعائم النهضة القومية ، ومواصلة الجهود لتحقيق كل أسباب العزة ومشارف الآمال ...

لهذا كان مشروع التعليم الإلزامى فى مصر أهم مشروع تمخضت عنه النهضة الوطنية الحديثة ، لأنه مشروع تتصل أسبابه بجميع أفراد الشعب ، ولأنه الدعامة الأولى لكل إصلاح ينتقل بالأمة من حياة الجهل والخمول إلى حياة مستنيرة عاملة ، تستقيم بها الأوضاع الاجتماعية وتتعاون فيها الجهود على النهوض بجميع مرافق الإصلاح

* * *

لقد أطبقت ظلمات القرون ومظالم الأحداث على آفاق البلاد حقباً متطاولة ، فإذا هذا الوطن الذى أنبت أول حضارة على ظهر الأرض ، والذى كان قبلة العالم فى علومه وفنونه وآدابه ، والذى يفيض نيله عسجداً مذاباً ، وتخرج تربته من كل الثمرات ، والذى تخلق طبيعته الساحرة بطولة الأجسام والعزائم والعقول — إذا بهذا الوطن الذى توفرت فيه كل أسباب العظمة والخلود ، تتدهور الغالبية العظمى من أهله فى مهاوى الجهل والفقر والمرض والانحلال ، تدهوراً يبعث على الحسرة البالغة والأسف العميق !

وليس من شك فى أن العامل الأول الذى أدى إلى هذه النتائج المؤلمة ، والذى ترتبت عليه العوامل الهدامة الأخرى ، إنما هو الجهل الذى متى به السواد الأعظم من الشعب ، فعرضه لغيره من الآفات الاجتماعية التى تنخر فى كيانه وتحول بينه وبين كل تطور محمود

فالتعليم الإلزامى — إذاً — هو العلاج الحاسم الذى يجتث هذه الآفات من أصولها ، ويمد جسم الأمة بالقوة التى تقاوم بها آثار هذه الآفات ، والمناعة التى تقيها شرور العدوى والانتكاس

بل هو الشعاع الأول المنبثق من فجر النهضة إلى أعماق الريف السحيق ، يخترق فى سبيله الظلمات الداجية والضباب المركوم ، حتى يصل إلى تلك المجاهل النائية ، فتتفتح له الأجفان المطبقة ، وتستجيب له القلوب الصماء ، وما يزال هذا الشعاع يقوى وينتشر وما تزال العيون تتفتح والقلوب تستجيب ، حتى تتبدد تلك الظلمات وتستبين القافلة معالم الطريق ...

ومن هنا نستطيع أن نفهم رسالة التعليم الإلزامى فى مصر ، على صورتها الصحيحة ومعناها البعيد . فليست هذه الرسالة قاصرة على محو الأمية فحسب — كما يريد البعض أن تكون — لأن مكافحة الأمية ميدان محدود بالنسبة إلى الميادين الرئيسية الأخرى ، ولأن قصر هذه الرسالة على هذا الميدان عمل آلى تافه الأثر ضعيف النتائج ، لا يبث فى نفوس الناشئة فكرة سامية ، ولا يمدها بتوجيه سديد

بل إن فى هذا الحد من رسالة التعليم الإلزامى على هذا الوجه أضراراً عقلية واجتماعية هى شر من الأمية والجهل ؛ لأنك إذا وضعت فى يد الناشئ مفتاح القراءة والكتابة ، ولم تصب فى عقله المقاييس الصحيحة للحياة ، ولم تملأ أحاسيسه بالعواطف اللازمة لسعادة المجتمع — كان هذا المفتاح الذى فى يده يدور بوحى عقله القاصر المضطرب ، وإلهام غرائزه المستعرة العارمة ، فلا يفتح على نفسه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه إلا أبواب الشرور ...

وإنما تمتد رسالة التعليم الإلزامى إلى آفاق أبعد من ذلك غاية